

## تفسير ابن كثير

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ  
وَالْأَفْئِدَةَ<sup>ل</sup> لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

م ذكر تعالى منته على عباده في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا ، ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات ، والأبصار اللاتي بها يحسون المرئيات ، والأفئدة - وهي العقول - التي مركزها القلب على الصحيح ، وقيل : الدماغ والعقل به ، يميز بين الأشياء ضارها ونافعها . وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدرج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده . وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ؛ ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى ، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه ، كما جاء في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " يقول تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله

التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن دعاني لأجيبه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ،  
وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره  
مساءته ، ولا بد له منه " .فمعنى الحديث : أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها  
الله - عز وجل - فلا يسمع إلا الله ، ولا يبصر إلا الله ، أي : ما شرعه الله له ، ولا يبطلش  
ولا يمشي إلا في طاعة الله - عز وجل - مستعينا بالله في ذلك كله ؛ ولهذا جاء في بعض  
رواية الحديث في غير الصحيح ، بعد قوله : " ورجله التي يمشي بها " : " فبي يسمع ، وبي  
يبصر ، وبي يبطلش ، وبي يمشي " ؛ ولهذا قال تعالى : ( وجعل لكم السمع والأبصار  
والأفئدة لعلكم تشكرون ) كما قال في الآية الأخرى : ( قل هو الذي أنشأكم وجعل  
لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه  
تحشرون ) [ الملك : 23 ، 24 ] .